١٠ـ الصداقة...

اعلم يا بني ويا بنيتي أنه ليس كل من تراه، أو تصاحبه أو تجاوره، يستحق أن يكون لك صديقًا، أو يعرف معنى الصداقة، فيقدر قدرها، ويحفظ حقها.

في الرخاء يكثر الأصدقاء، وفي الشدة تجد الأوفياء.

هناك طائفة من الناس ـ يمكن أن تسميها المنتفعة أو الانتهازية أو الاستغلالية ـ تعرفك لحاجتها... متى لم تقض، أو لم تنته هو: صديق، ودود، محب.

وهو صديق المأرب، متى انقضى، انقضت معه الصداقة الزائفة. التي تشبه السراب في بريقه وتوهمه.

من تصاحب؟ :

عَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " لَا تَصْحَبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ ". (١)

فيجب عليك أن" لا تخالط إلا عاقلًا تقيًا، ولا تجالس إلا عالمًا بصيرًا". (٢)

واعلم " أنَّ من نصحك فقد أحبك، ومن داهنك فقد غشك، ومن لم يقبل نصيحتك فليس بأخ لك.

---

(١) رواه الترمذي والدارمي وابن حبان وأبو يعلي

(٢) رسالة المسترشدين ص٥٩.

قال عمر بن الخطاب: لا خير في قوم ليسوا بناصحين، ولا خير في قوم لا يحبون النصيحة".[١]

فأصدقاء السوء من أجلى علاماتهم أنهم لا ينصحون بإخلاص، ولا يرشدون إلى خير، ولا يُبعدون عن شر. إنهم ينصحون بما يفيدهم، ويرشدون إلى ما ينفعهم.

إنهم أضر مخلوق بك، وأشدهم بأسًا عليك، وأمكر من عدوك.

يفعلون بك ذلك وهم يلبسون عباءة الصداقة البالية، وتعيش معهم في وهم المحبة عن قصد خبيث، ومكرهم محيط بك، وقلوبهم قاسية عليك.

ولذلك يقول كل حكيم خبير: احذر عدوك مرة، واحذر صديقك ألف مرة.

وقال أبو ذر: الصاحب الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من صاحب السوء، ومُملي الخير خير من الساكت، والساكت خير من مُملي الشر".[٢]

اعلم يا بُني أنَّ صديقك محسوب عليك، ودليل عليك، ولذلك قيل: لا تسأل عن المرء واسأل عن قرينه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ ".[٣] فإن صاحبت الأشرار، عرف الناس طبعك. وأنك مثلهم.

---

(١) المصدر السابق ص٥٩.

(٢) رواه ابن أبي شيبة.

(٣)رواه أبو داود والترمذي و أحمد والحاكم في مستدركه بلفظ " المَرْءُ " وأحمد بلفظ " يُخَالِطُ " بدل "يُخَالِلُ "من حديث أبي هريرة .

وكذلك إن صاحبت الأخيار. فشبيه الشيء منجذب إليه.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:"الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ". (١)

فضل صحبة الصالحين...

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : "الرَّجُلُ يُحِبُّ الْقَوْمَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِمْ ، قَالَ أَنْتَ يَا أَبَا ذَرٍّ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ ، قُلْتُ : فَإِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَالَ : أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ ". (٢)

لأن المحبة ـ وأحيانًا المنفعة ـ أساس كل صحبة، وكلما كانت المحبة قائمة على دين، وخلق رفيع، كانت الصحبة نافعة ودائمة، سواء في الدنيا أوالآخرة.

عَنْ أَبِي حَازِمِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ الشَّامِ فَإِذَا أَنَا بِفَتًى بَرَّاقِ الثَّنَايَا وَإِذَا النَّاسُ حَوْلَهُ إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَسْنَدُوهُ إِلَيْهِ وَصَدَرُوا عَنْ رَأْيِهِ فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ هَجَّرْتُ فَوَجَدْتُ قَدْ سَبَقَنِي بِالْهَجِيرِ وَقَالَ إِسْحَاقُ بِالتَّهْجِيرِ وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّى إِذَا قَضَى صَلَاتَهُ ، جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

فَقَالَ أَللَّهِ ، فَقُلْتُ أَللَّهِ ، فَقَالَ أَللَّهِ ، فَقُلْتُ أَللَّهِ.

فَأَخَذَ بِحُبْوَةِ رِدَائِي فَجَبَذَنِي إِلَيْهِ وَقَالَ : أَبْشِرْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ

(١)صحيح البخاري - كِتَاب أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ - بَاب الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ.

(٢)رواه أحمد وابن حبان وأبو داود

وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ". (١)

فكل صحبة من أجل منافع دنيوية غير دائمة في الدنيا، ومنقطعة يوم القيامة، بل هي مستبدلة بعداوة وبغضاء قال الله تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾. [الزخرف:٦٧] .

وتلك يا بني سُنَّة الله تعالى في كل ما هو قائم على أساس دنيوي.. انقطاعه، والندم عليه.

أما صحبة الأخيار الصالحين فلا انقطاع لنفعها، ولا حصر لفضلها، وستكون الحسرة يوم القيامة على اجتنابها، وعدم لزومها.

إن صحبة الأخيار يا بُني كلها خير، حتى ولو كانت لعارض أو لأي سبب من الأسباب.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ فُضُلًا عَنْ كُتَّابِ النَّاسِ فَإِذَا وَجَدُوا أَقْوَامًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى بُغْيَتِكُمْ فَيَجِيئُونَ فَيَحُفُّونَ بِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ اللَّهُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تَرَكْتُمْ عِبَادِي يَصْنَعُونَ.

فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ يَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ وَيَذْكُرُونَكَ .

قَالَ فَيَقُولُ : فَهَلْ رَأَوْنِي ؟ . فَيَقُولُونَ : لَا ، قَالَ : فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي ؟.

قَالَ فَيَقُولُونَ:لَوْ رَأَوْكَ لَكَانُوا أَشَدَّ تَحْمِيدًا وَأَشَدَّ تَمْجِيدًا وَأَشَدَّ لَكَ ذِكْرًا.

قَالَ: فَيَقُولُ: وَأَيُّ شَيْءٍ يَطْلُبُونَ قَالَ: فَيَقُولُونَ يَطْلُبُونَ الْجَنَّةَ قَالَ: فَيَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا ؟.

---

(١) رواه مالك وأحمد والحاكم في مستدركه

وقال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[البقرة:١٥٣].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[آل عمران:٢٠٠].

وقال تعالى:﴿ وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[النساء:٢٥].

وقال تعالى :﴿ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[الأنفال : ٤٦].

وقال تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾[الفرقان:٢٠].

وقال تعالى:﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾[لقمان:١٧].

فضل الصبر...

اعلم يا بني أن الله تعالى عندما أمر عباده بالتزام الصبر ـ لأنه لا غنى عنه، في الطريق إلى الله تعالى، وما يواجهه العبد من ابتلاءات، ومعوقات مثبطة، ومغريات مثنية، لا يتجاوزها ولا يهزمها إلا من تحلى بالصبر ـ بيَّنَ الله تعالى عظيم فضله،وكبير أجره،وأنه تعالى يجازي عليه مالا يجازي على غيره.

قال الله تعالى في كتابه الكريم في غير موضع:﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾[هود:١١].

وقال تعالى:﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾[الرعد:٢٤].

وقال تعالى:﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[النحل:٩٦].